سيرة الحبر الطيب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

للقس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تتمّة)

وماذا اقول عن القس باسيل الهدناني (١ المكنّى بالنوّاح في رهبنتنا الذي استمرّ مجاهدًا انوّف من اربعين سنة وبالغ في السيرة شي يطول شرحه . وعن سليمان الشنعيري (٢ وحنا دوين (٣ فالاول منهما انبأ عن موته قبل بشهرين واستدام يخبر به الى يوم وفاته وانا كنت خادمه في مرضه . امّا الثاني حين دفن سليمان المذكور فالمشار اليه انبأ عن موته للرئيس وكان ذلك امام الرهبان انهُ بعد اربعين يومًا من دفن سليمان ينتقل هو . وهكذا صار . وهذا حنا المذكور ما رأيتهُ قط يسمع القداس الّا وهو باكٍ وكان يهرب من الكلام البطّال قولًا وسمعًا وكانت قراءته الروحية في قلايته في الانجيل دائمًا فيما يخصّ الآلام . وعند قراءته كان يذرف الدموع . فلنبق القس حنا الباني (٤ وعبدالله البشراني (٥ اللذين بعد وفاتهما ظهروا الى البعض من الآباء واخبروا عن السعادة التي حصلا عليها . وقد اقتصرنا تسمية كثيرين غيرهم لئلا نطيل الشرح فهؤلاء جميعهم هم اثمار رشد عبدالله والآن يشاهدونه في السما. (٦

---

١) البسهُ الاسكيم الاب عبدالله قراعلي الرئيس العام سنة ١٧٠٠ في دير مار البشع

٢) لبس الاسكيم من يد الاب عبدالله قراعلي في ١٥ آبَ سنة ١٧٠١ في دير مار البشع وتوفاه الله في ٢٧ نيسان ١٧٠٧ ولهُ من العمر ٣٣ سنة

٣) من عزير من عائلة زوين لبس الاسكيم من يد الرئيس العام في ٣٠ ت ٢ سنة ١٧٠٠ وتوفاه الله في الدير ذاته في ١٨ حزيران ١٧٠٧ ولهُ من العمر ٥٩ سنة

٤) لبس الاسكيم في ١ حزيران ١٦٩٨ في دير مُرت مورا وتوفاه الله في دير مار البشع في ١٧ نيسان ١٧٠٦ وهو اول من توفي من الرهبان

٥) لبس الاسكيم مع حنا الباني وتوفاه الله في دير مار يوحنا رشميا في ٢٥ ت ٢ سنة ١٧٠٦

٦) قال مجمع نشر الايمان في رسالة تعليمية بعث بها للرهبان البلديين (٤ شباط ١٩٠٥) ذاكرًا فضائل هؤلاء الاباء الاوّلين : « وليذكروا [الرهبان] ايضًا ما تقّى اباؤهم من المشاقّ والمذابات فكانوا اغنياء في الفضيلة فجيرا في اعتاجم . فليتبعوا آثارهم ويكونوا ميراثًا مقدّسًا لهم ويضيئوا كالنجوم في افق الكنيسة اذ يستميرون بشهامة امام الرب بالروح والدعوة التي دُعوا اليها »

فعبدالله كان عدو الكذب والنفاق وكان ذا عدل وقسط بهذا المقدار حتى اذا حدث حادث لاحد من العزيزين عنده في الرهبنة كان يحكم عليه بالعدل بشجاعة هذا مقدارها حتى ولو عرف انهُ يخسر بهما كان لهُ لم يبالِ. وسوف يتبرهن لك ذلك في سيرهِ وهو مطران. ومن خصوص فضيلة ايمانه ورجائهِ في الله كان يفوق ادراكي وادراك غيري واقرُّ اني عاجز عن تبرهن ذلك

فحين اخذه المشايخ الى عند البطريرك لكي يرسمه حسب امره فبعد وصولهم الى قرية عجلتون حيث كان البطريرك ينتظره حدثت مخاصمة بين المشايخ وهي هذه: ان المشايخ كانوا حلفين والحلفان يريدان ان يكون مطرانهما. انما مطران حلب مخائيل البلوزانيّ الاصل (١ الذي كان ساكناً في طاميش ومسمى في اولاد ابي ناصيف (٢ لما عرف برسامة المذكور توجه الى عند البطريرك ليكون من الراسمين فهذا المذكور توهم في رسامة عبدالله انهُ اذا صار مطراناً ربما الحلبيون في حلب يطلبونه ليكون هو مطرانهم ويخسر هو رعيته حلب. وسبب هذا الوهم هو ان في تلك الايام كان الاساقفة في يد البطريرك ينقل ويغير على خاطره وهذا الامر على القول درج في الطائفة حين ابتدوا يرسمون بطاركة من تلاميذ المدرسة (٣. فحلف من المشايخ المكنّيين باولاد ابي ناصيف طلبوا من عبدالله انهُ يكتب على حاله تمسك انهُ ما يطلب رعية حلب ولا يقبلها ولا ينزل الى حلب بنوع ما وان نزل يكون عنده خسارة مبلغ دراهم ٣٠٠٠ غرش. فعبدالله اذ كان مرامه ان تبطل رسامته فحضن الفرصة وصرخ بصوتٍ عالٍ: لا اكتب ولا ارتسم. امَّا الحلف المكنَّى باولاد ابي نوفل والجميع هم خوازنة اشتدوا ضد الاوّلين وعظمت المخاصمة بينهم بهذا المقدار حتى كل واحد من الحلفين ركض على سلاحه. فلما رأى البطريرك والمطارين ذلك ارتعوا على عبدالله وامره البطريرك امرًا ان يقبل. فما امكن بل قوله كان هكذا: انا لا ازيد الرسامة ولا طلبتها كيف ارتسم بسيمونيا تحت وعد ووعيد. ودامت هذه المخاصمة

---

١) جعلهُ عمه البطريرك جبرائيل البلوزاني سنة ١٧٠٤ خلفاً لهُ على الابرشيّة الحلبيّة

٢) اطلب كتاب الاعيان في اخبار لبنان (ص ٨٩)

٣) هذه مسألة تقتضي شروحاً طويلة نكتفي منها بالاشارة الى المجمع اللبناني سواء كان في المتن (قسم ٢ باب ١٤ وقسم ٣ باب ٤–٦) او في الذيل (الفصل ٤٠)

يوماً وليلاً . اخيراً لتطافي هذه الشرور والخاصمات كتب عبدالله صكاً ومضمونه : انا عبدالله اعطيت قولاً وقراراً انني ما اتغير عن رعيتي ولا اقاوض بغيرهـا وبالخاصة رعية حلب . هذا الذي كتبه من فطنته لكي يرجع المشايخ عن المخاصمـة . فحينئذٍ ارتفع القال والقيل ورسموه في كنيسة عجلتون وصار ذلك في سبعة عشر يوم من شهر ايلول سنة ١٧١٦ الف وسبعماية وست عشرة مسيحية . وبعد ايام قلايل جداً واجهته انا في عجلتون وحين واجهته اعطاني منشوراً من البطريرك يعقوب لجمعنـا به يأمر ان نجتمع ونقيم رئيساً عاماً ومدبرين ونتوجه الى عنده ليثبتهم وعلى هذا السند عملنا مجمعنا واقيم فيه جبرائيل فرحات رئيساً عاماً . وباقي مجرويه المجمع والحوادث التي صارت بعدها تجدها محررة في تواريخ الرهبنة

اما عبدالله بما ان ظن الجميع فيه انهُ رجل متوحد محب التقشف والانفراد وما باشر قط رئاسة الكهنوت وخاصة امور الشريعة لان مفهوم في الجبال ان المطارين هم الذين يشرعون للشعب فكان كثيرون من محبيه وغيرهم يقولون : مسكين عبدالله ظلموه . هذا رجل خائف الله نكن رعاية الانفس وخاصة في تلك البلاد تعسر عليه . وفي ذلك الحين كان زمان زيارة الرعية التي ارتسم عليها فاراد البطريرك ان يطلع معهُ الى قرية بسكنتا ليزور تلك الرعية بزعمه لكي يعلمه كيف السلوك . هـذا الظاهر والباطن الله اخبر به . فحين اتوجدوا في بسكنتا مرض عبدالله واستدام مرضه اتوف من اربعين يوماً طريح الفراش . وبعد ان تقوّى قليلاً نزل الى قرية عجلتون وبعد مدة قليلة ابتدأ بالوعظ على الشعب كالوف الرؤسا الحقيقيين وابتدأ يشرع كانهُ منـذ صباه كان دارس الشريعة وحافظها غيباً . فعجبت الناس منهُ وظهرت لهُ سطوة على الجميع بهذا المقدار حتى حين كان يأمر امراً في الكنيسة او خارجاً عنهـا كانوا يظنون ان من خالفها خالف الله بالحقيقة . وظهر ما ذُكر للعالي والدون حتى الحكام والامراء والمؤمنين والغير مؤمنين كانوا يتواردون اليه ليشرع بينهم والذي كان يحكمه جائز على الجميع وبالاكثر الغرباء فانهم مراراً شتى كانوا يتركون قضاتهم ومشترعيهم ويأتون اليه وبعد الحكم عليهم يا للعجب من اناس غير مؤمنين لان الغالب والمغلوب كان يخرجون من امامه راضين لاعتقادهم فيـه انهُ ما يمكن ان يشرع بخلاف الحق كما كان ذلك بالحقيقة . وبعض امرار حدث انهُ كان يحكم في بعض قضايا يقع فيهـا الغلط اما من

قبل الشهود او من قبل المدّعين لعدم معرفتهم النص فكان يرسل يطلب المحكوم عليه المغلوب ويعطيه ما رغمه بالشريعة من ماله وكان يشهر للعالي والدون : اني سهوت في هذا الحكم وانا ملزوم ذمةً في ان اعوض عليه الضرر الذي صار لهُ . فيا لهُ من تواضع عميق يعسر على كثيرين استعماله . كم وكم من المرات حين كانوا ياتون اليه من المدن اناس معتبرون من غير المسيحيين ومن الجبال ايضاً واذ كانوا يواجهونه كانوا ينطقون علانيةً ان هيبة الله على هذا الرجل . ومع هذا كله كنت تراه متواضعاً انيساً موانساً للمساكين والفقراء اكثر من السادات والرؤساء .

والبطريرك يعقوب وغيره من رؤساء الكهنة من كان يقدر يتجرأ ان يحرم احد المشايخ اذا زلّ زلّة توجب ما ذُكر والحال ان عبدالله بعد ما ارتسم باربعة اشهر خبروه ان احد المشايخ الخوازنة الذين في رعيته ارسل الى السحراء اكي يخبروه عن جملة دراهم كانت خفيت عنهُ . فحال ما تحقّق الخبر اشهر حرمه . وناهيك من كبار اهل الجبال في ضربةٍ ما حصلت لهم بعد وخاصةً خافوا لئلا يجري هذا النكاس على الكل . فصار اضطراب عظيم فيما بينهم وحين سمع البطريرك وباقي المطارين ما صار ظنوا ان عبدالله فيهِ طرف جنون . فرأسله اكثر المشايخ بنوع تدليس وتهديد ليحلّ المحروم من غير ان يحضر ويقرّ باثمهِ . فكنت تنظر في عبدالله نوع غيرة على الحق بشجاعة هذا مقدارها فانا وغيري عاجز عن وصفها . وكان جوابه دائماً الى المراسيل التي كانت تأتي اليه من قبل المشايخ والى المشايخ : حاشا لي ان اكون في الحيرة واترك الغنم يفترسها الشيطان من بين يديّ . ولئلا نطوّل الخطاب التزم الشخص المحروم يجيء الى دير لويزة حيث كان قاطن المطران عبدالله كي يرمي عليهِ سطوة من غير ما يخضع . فصار الامر بخلافه وهو هكذا لانّي كنت حاضر انا وغيري من الرهبان . فحين وصل الشيخ المشار اليه اول كلامه لعبدالله كان هكذا : الذي مثلك ومثل غيرك يده تمتد ان تحرمنا نحن ؟ وكلام مثل هذا يطول شرحه . فسكت عبدالله الى ان سكّن ذاك مصايحته وردّ عليه هذا الجواب لا غير : انت يا فلان اشنيت وعيّرت طائفتك بالتزامك بالشياطين اعداء الله وانا ملزوم ذمةً في تخليصك فلا تألمْ من يريد خير نفسك . فحالما لفظ هذه الالفاظ بكل ودّ وهدوّ وسلامة فحالاً رفع الشيخ عمامته عن راسه وسلاحه الذي اعتاد المشايخ ان يتقلده وخرّ ساجداً امام المطران الذي كان قاعداً وصرخ هكذا :

اخطيت في الارض والسماء وطالب الغفران من الله بواسطتك وانت ابي من الان وصاعداً. حينئذٍ نبض عبدالله وعاقته وفي الحال ظفرت الدموع من عينيه فتبعه النائب في البكاء. واغلب الحاضرين بكوا وللوقت ارسل منشور تعريف الى المشايخ بان فلان حضر الى عندنا واستغفر من الله على يدنا ونحن باركناه وارتفع عنهُ كل حرم. ثم قال المطران عبدالله الى الشيخ المشار اليهِ (بعد ان فرض عليهِ كتانون قمحاً ودراهم للفقراء مبلغاً يحرز): يا ايها الولد الحبيب الشياطين عاجزون على ان يجيئوا لك بدراهمك انما ان التجيت الى الله ما يفوتك برهة من الزمان حتى تعرف دراهمك اين هي. وهكذا صار لانهُ بعد مدَّة ليست مستطيلة حضر الى عند احد المشايخ الذي كانت الدراهم مخبأة عنده من ابي المحروم وقال لهُ هكذا: دراهمك التي اودعها ابوك عندي تعال خذها. ولما رجع الشيخ المبارك من المطران الى عجلتون كان يمدح المطران ويحلف بصلاته فسألهُ باقي المشايخ: ماذا جرى لك كنت تذم فيهِ وتزلت الى عنده وانت بغير نوايا فكيف انقلبت اليوم هذا الانقلاب. اجابهم: اسمعوا لما اخبركم. لمَّا نزلت ووقفت امامه بدأت اتكلم بكلام كثير وهو ساكت بحال خشوعي الى ان فرغت انا من كلامي فاجابني هو بكلامه السابق بكل هدو ووداعة لي. ومع كلامه كنت احس في ذاتي ان شيئاً كان يرمي في قلبي الخوف والهيبة منهُ وهذه الهيبة والخوف جعلتني ان ارفع عمامتي من راسي واسجد امامه طالباً الغفران. ولمَّا جلستُ بدموعه هاطلة على راسي تحرك قلبي وبدأتُ انا ايضاً ابكي. واقول لكم ان هذا الرجل ما احد يقوى عليهِ والكل يستهابونه لان هذا من عند الله

ولنرجع الى عبدالله فابتدأ المذكور بسياسة رعيته بنوع ما كان احد يظنه. اولاً بيَّن غيرته على خلاص انفسهم وثانياً غيرته على الحق ومن زود ثباته على الحق كثيرون كانوا يقولون: هذا عنيد ما يغير. ومع هذا كله تواضعه يفوق معرفة كثيرين مؤانسته خاصةً للمساكين. واما ثباته وطول روحه حين يتشاجر الناس امامه في الشريعة شي يعسر وصفه عليَّ. ومن حيث سيرته ونسكه وصلواته وقداساته ما غيَّر منها شيئاً عن ما كان في الديورة الَّا قضية واحدة انهُ في نومه بدلاً من ان ينام قاعداً بدأ يتكي راسه على المخدة لابساً ثيابه بموجب القانون وما كان يقلع الَّا ما فوق الزنار

في بدء رياسته في الكهنوت استمر في اكل الصيام مثل الدير فحثه كثيرون على ان

ياكل اللحم لاجل عافيته ليقتات به لانهُ كان ضعيف الجسم . فما امكن . اخيرًا التزم نائس من رعيته ان يخبروا البطريرك وطلبوا منهُ ان يلزمه بذلك وهكذا صار لانهُ انوجد في جمعيَّة كان بها البطريرك والمطارين والزموه بان ياكل زفرًا معهم وبما انهُ كان غيورًا على الطاعة غيرة هذا مقدارها حتى اتصل بها ان الرؤساء العام الذين اقيموا بعده كانوا اذا امروه بشيء ليعمله بشرط انهُ لا يكون فيهِ شيء يثلم فكان يعملهُ بحسن قلب وبسرعة اعظم من سرعة المبتدئ في الرهبنة . فحين امره الرؤساء في اكل الزفر اطاعهم وبدأ ياكل قسرًا عنهُ ومع هذا كله جميع الذين رصدوا عليهِ في الزمان من رهبان وعوام حين اكله كانوا يرون منهُ قناعة بهذا المقدار حتى كأنهُ ما عمال ياكل شيئًا . فاستدام في لويزة نحو اربع سنوات ساكن في الدير لان الدير المذكور كان في رعيته والحال ان ما كان لهُ مقام معين وفي كل تلك المدَّة كان يعيش عيشة رهبانيَّة مثل ما كان وهو راهب

(تمت)

(حاشية الناسخ) هذا الجزء انجد في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في روية وان اردت الباقي اسأل عنهُ في مكتبة لويزه والله اعلم

ملحق

ومما وجدناهُ من آثار الرئيس توما البردي صاحب الترجمة السابقة رسالة بعث بها الى وزير ملك فرنسة لويس الخامس عشر يشكرهُ فيها عن صورة جلالتهِ كان ارسلها للرهبانية اللبنانية المارونية . وهذه الرسالة مصونة في باريس في سجلَّات الوزارة الخارجيَّة (١

ايها السيد الكلي السمو والاحترام (٢

المعروض على الجناب السامي بعد الدعاء المفروض انهُ قد صار لي استعداد لاستكثار خيركم على الشرف الذي جنابكم السامي شرفتموني بارسال صورة من هو

Archives du Ministère des Affaires étrangères à Paris. Série (1) *Affaires religieuses et Missions du Levant, Carton* 4 (1727-1743)

٢) تتلو الرسالة بحروفها

اكبر ملوك النصارى لتوضع في احد ديورتنا لاجل ما تكون وثيقة الى رهبنتنا وايضاً شرف الى جميع طائفة الموارنة . فانا استصوبت اني اتشاور مع اربعة مدبرين وشيوخ الرهبنة واكبر مشايخ بلاد جبل لبنان فرأينا فرضاً واجباً علينا اننا نطلب ونترجى من حضرة موسيو يون (١ القنصل الفرنساوي بطرابلس سيريا الذي جنابكم السامي ارسلتم لهُ الصورة الجميلة والبهجة انهُ يريد يتفضل يشرفنا ويسلمنا الصورة بحضور المدبرين ورؤساء الديوزة وشيوخ الرهبنة الذين كانوا مجموعين في ديرنا المسمى على اسم القديس لويز (٢ الذي الصورة مخصوص وضعها فيهِ وكل اكابر ومشايخ طائفة الموارنة حصلوا وانسروا من هذا الشرف باستعداد واستحضار كلي . موسيو يون القنصل المكرم وافق مطلوب الجميع . فليكن محققاً عند جنابكم السامي بان ما كان يمكن يصير ازيد شرف من الذي صار حين قبول هذه الصورة . وانا مقرّ ومعترف لجنابكم السامي ان الذي صار ما هو الّا لاجل الشرف الذي حصل منّن هو اكبر ملوك النصارى وان هذا الضياء والابتهاج الذي ظهر في هذه البلاد فهو فعل يعلو فأملأ كل القلوب فرحاً وابتهاجاً زائداً . وبما ان سيادتكم تواظبتم بالحنو والشفقة على رهبنتنا وعلى الغير بسبب هذا مقدارها التي هي علة هذا الابتهاج والرضا الكلي فرجائي من سيادتكم ان تقبلوا مني المديح والشكران لفضلكم مني ومن رهبنتي مع طلب الاذن بذلك بالتهجم على جنابكم الكلي سموه . وبمثله اشكر فضلكم عن لسان اكابر ومشايخ طائفة الموارنة مع الشعب الغفير الذي كان حاضراً الاستقبال هذه الصورة الاتيين من اقطار الجبال اللبنانية وهذا صار شهادة لتنازل سيادتكم بالشرف الذي شرفتموني ولرهبنتي ايضاً وذلك ليطبع في قلوب الجميع الى جيل وجيل ليستقيموا بحفظ الوداد بالارث من ابايهم وليدوموا بالحظوة بنظر وحماية الملك المسيحي المنصور

ولكي لا يُنسى هذا الشرف انا متهجم على شرفكم السامي ان تحلموا عليَّ وعلى رهبنتي ان نكون تحت حماية الملك المسيحي السعيد في هذه النواحي كما هي الرهبنات الغربية التي لها الشرف الحاصلة فيهِ اعني حماية الملك . كذلك اتهجم بالتوسل الى

---

١) Yon جُعل قنصلاً في طرابلس بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٧٣٦ خلفاً لمسيو دي بلّيس (dn Bellis) (نقلاً عن سجلات الوزارة البحرية في باريس B⁷, n°. 155)

٢) يريد دير لويزه . والمقابلة بين لويزة ولويس من القرابة بمكان

همتكم العالية ان من الان والمزمع ان تشرفوا هذه الرهبنة الداعية لجنابكم بنظر خصوصي ان تامروا الاساكل بان رهباننا المتوجهين كل وقت الى ديرنا في مدينة رومية لينالوا العلوم ان ينجلوا باعتبار على الاوقاف الفرنساوية مثل بقية رهبنات الغربيين من غير مانع . ومن الان مع انتظارنا لاوامركم الشريفة مستعدين ان ننشي في كل ديورتنا الدعاء المعتاد لحضرة الملك مع العيلة الملوكية التي هي فخر الملة المسيحية والذاغة النصر الغير منتصر عليها وايضاً ما يمكن ان تفعل الرهبنة بالدعاء والصلاة لاجل رفع شانكم ودوام العز لسيادتكم مع القداسات المختصة لجنابكم المدومة . وكذلك انا وجميع رهبتي والمزمعين ياتوا بعدنا لم يمكن ان ينسوا فضلكم واحسانكم مع الدعاء المستقيم ابداً كما ذكر وانا مستعد بخدمة سيادتكم وتحت اوامركم على الدوام ايها الشريف الحسب والسمو

حرر بدير لويز في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة الف وسبعماية وثماني وثلاثين مسيحية

مكان الختم الحقير في الكهنة توما اللبودي

مع هذه الاية : اب عام رهبان مار انطونيوس اللبنانيين

من كان فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوّل من الآداب العربيّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنّفات العربيّة

وممّا يقال بالاجمال انَّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب مبلغ العلّامة سلوستر دي ساسي لكنّنا نؤجّل الكلام فيهِ الى الطور التالي لأنّهُ فيهِ مات . وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنّن معارفهِ